

(الحلقة الثانية)

”البلاد“ تستعرض كتاب ”غاندي... وقضايا العرب والمسلمين“ للكاتب عبدالنبي الشعلة

حارس عربي مسلم ينقذ جد غاندي من الاغتيال



عبدالنبي الشعلة

كان غاندي هندوسياً من الأساس ومنذ البداية، وأصبح لاحقاً هندوسياً بامتياز وحتى النخاع، وفي الحلقة الثانية من كتاب عبدالنبي الشعلة بعنوان ”غاندي... وقضايا العرب والمسلمين“ يجري مسحاً أولياً عند المرحلة الطرية المبكرة من عمر الزعيم الهندي.

ييسر الكاتب للقارئ الأرضية النظرية والمساحة الانفتاحية التسامحية التي

حددت مسافات الاقتراب والتفاعل الفكري بين غاندي والإسلام كفكر وأسلوب حياة.

وقال الكاتب: عند هذه المحطة لابد أن نشير إلى أننا لا نحاول أن نوحى بأن غاندي كان يفكر في الانشقاق عن الصف الهندوسي أو كان يميل إلى الإسلام على حساب معتقداته الهندوسية، فقد كان غاندي هندوسياً دائماً.



والد غاندي

كاهن المعبد كان يقرأ القرآن الكريم ولا يجذب الأصنام

طائفة والدة غاندي تدمج الأفضلين بالهندوسية والإسلام



والدة غاندي Putlibai

في كتابه ”قصة تجاربي مع الحقيقة“، أشار غاندي إلى معتقدات طائفة برانامي، التي كانت أمه تنتمي إليها، قائلاً: ”إنها تسعى لدمج أفضل ما في الهندوسية مع أفضل ما في الإسلام“.

وفي الكتاب نفسه أكد غاندي: ”كانت عائلتي تتبع طريقة برانامي، ومع أننا هندوس بالولادة، فإن الكاهن في معبدنا كان يقرأ من قرآن المسلمين ومن كتاب ”الغوات غيتا“ الهندوسي، وكان يتنقل بينهما في القراءة، ولا فرق لديه أي كتاب كان يقرأ ما دام المعبود هو الله“.

كان والد غاندي يؤمن بقيم دينية أكثر صرامة ومحافظة، تقتضي الالتزام والحرص على الصلوات أمام الألهة والزيارات للمعابد، لكن والدته كانت أكثر مرونة وانفتاحاً، مع أنها كانت سيدة متدينة ورعة، تصوم معظم أيام السنة طلياً للمغفرة والنقاء وبغية تطويع النفس وترويضها. ذلك الطقس الروحي الذي استخدمه ابنها موهانداس فيما بعد كأداة سياسية.

وكما ذكرنا، فقد كان الخط الديني الذي ورثته عن والديه يكتنفه نوع من التأثير الإسلامي، الذي لا يجذب عبادة الأصنام في المعابد أو التقرب إلى الإله من خلال التماثيل،

معابدها كانت وإلى اليوم خالية من الأصنام والتماثيل

مؤسس طائفة ”برانامي“ الهندوسية يُقدّر القرآن وزار مكة



مدينة بوربندر مسقط رأس غاندي

وقد تأسست هذه الطائفة قبل أكثر من 400 عام وبنيت فلسفتها على مبدأ التوحيد والإيمان بوحدة الذات الإلهية العظمى، ولذلك فإن معابد هذه الطائفة كانت وإلى اليوم خالية من الأصنام والتماثيل، بما في ذلك تماثيل الإله كرشنا، الذي يعتبره الهندوس تجسيداً للقوة الإلهية العظمى.

في الثاني من أكتوبر 1869 ولد موهانداس غاندي، في غرب الهند، في مدينة ”بوربندر“ (Porbandar) الساحلية التي تحيط بها من كل جانب تقريباً مياه البحر العربي.

كانت مدينة بوربندر أحد موانئ أو منافذ التجارة ومراكز الاتصال بين الهند والدول العربية والسواحل الشرقية لقارة إفريقيا، وكانت تطل على حركة التجارة البحرية للتجار العرب والمسلمين بين بلدان الجزيرة العربية والقارة الآسيوية، والتي كانت سفنهم تحمل على متنها ثقافة وتعاليم الإسلام، وكان لها الدور الأكبر في انتشار واستقرار الإسلام وثقافته على امتداد القارة الآسيوية.

ولد غاندي وترعرع في أحضان أسرة هندوسية محافظة وملتزمة

غرس التسامح بنفسه

أصدقاء والد غاندي... مسلمون

وتشيتت جهودها وبعثرة عطائها ومساهماتها، إلا أنه كان في الوقت نفسه من بين أوائل المفكرين في العصر الحديث الذي رفض القطيعة والفصل بين الدين والسياسة.

وفي هذا الصدد تحضري كلمات معبرة تنسج مع هذا الفهم قالها، بعد عقود من وفاة غاندي، المرحوم الشيخ محمد متولي الشعراوي، في إحدى محاضراته عندما قال ”أتمنى أن يصل الدين إلى أهل السياسة، وألا يصل أهل الدين إلى السياسة“.

وتحدى غاندي النظريات السياسية التي تدعو إلى ”علمنة السياسة“، وتلك التي تدعو إلى ”تسييس الدين“ وأدرك منذ البداية حساسية وخطورة الدمج أو الربط بين السياسة والدين، خصوصاً في المجتمعات متعددة الأديان والمعتقدات الدينية كالمند، وما قد يؤدي إليه ذلك الربط من أثر سلبي على الحريات والأقليات والحقوق الفردية والجماعية، إلى جانب ترسيخ انشقاق قوى المجتمع وتقوقع وتخندق مكوناته الدينية

رسم غاندي خارطة طريق فكرية وإستراتيجية، أو خطة عمل واضحة ترمي إلى تحقيق الديمقراطية في الهند انطلاقاً من الأسفل إلى الأعلى، أو من قاعدة الهرم الاجتماعي إلى قمته، واعتبر الديمقراطية الوسيلة الأنجع لاستحداث نظام اجتماعي واقتصادي منصف يساهم في دفع عملية التحول والتنمية وتعزيرها، وكان يؤمن أيضاً بأن النظام الإداري المركزي لا يوفر البيئة الصالحة والملائمة لنجاح التجربة الديمقراطية ورسوخها.

كان يعمل وزيرا أولا لحاكم ولاية وغضبت منه الأميرة

رشق بيت جد غاندي بالنار وكادت تؤدي بحياته

منه، فأرسلت الأميرة لبيت أوتامجانند مجموعة من حراسها المسلحين الذين قاموا برشق المنزل بطلقات ناربية كادت تصيب الجد وتودي بحياته، لولا مبادرة حارسه العربي المسلم بتعريض حياته للخطر والقيام بحماية الجد وإبعاده عن موقع الطلق الناري وإنقاذ حياته.

لاشك في أن هذه الرواية قد علقت في ذهن الطفل والصبي الصغير موهانداس، وتركت أثراً عميقاً في نفسه انعكس فيما بعد على رؤاه ومواقفه.

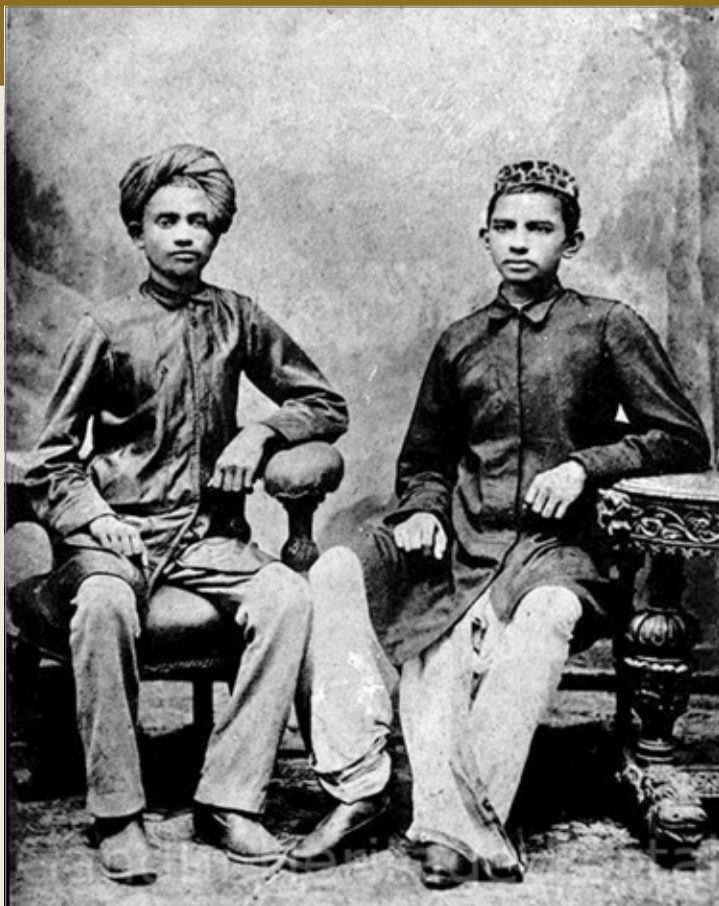
وترسيخ القيم التي تركز على أسس دينية وثقافية وتراثية هندوسية في وجدان ابنهما.

سمع غاندي وهو في صباه، أسرته تنتقل الحديث عن حادثة مروعة حدثت لجدده ”أوتامجانند غاندي“ عندما كان ”ديواناً“ أو وزيراً أول لحاكم ولاية بوربندر، فقد غضبت الوصية على العرش وقتها، الأميرة ”راني روباليا“، على ”أوتامجانند“ بسبب مساندهته لأمين الخزانة بالقصر، الذي كانت تحاول إقصاءه والتخلص

موهانداس غاندي في تلك الفترة المبكرة من حياته وقف متساخلاً وأحياناً حائراً عند مفترق الكثير من الخيارات والأطروحات، منها القيم والمبادئ الثقافية التي كان يروج لها الحكم البريطاني في الهند، ومحاولات التنصير التي تقوم بها الإرساليات المسيحية، والمعتقدات والأفكار التي يؤمن بها أتباع الأديان الأخرى في الهند، ومن بينهم المسلمون والزرادشتيون وغيرهم، في مقابل جهود والديه لتثبيت

ارتبط بالشيخ مهتاب الصديق المسلم الطائش والمتهور

غاندي دخن وأكل اللحوم بمراهقته ثم توقف



غاندي مع صديقه المسلم الشيخ مهتاب

في خضم هذه المواجهات بدأ غاندي خفية وخلصاً يدخن ويأكل اللحوم مع مهتاب، ولمدة سنة كاملة أكل غاندي اللحم ست مرات، لكنه ضاق ذرعاً من هذه الممارسات التي اعتبرها صيبانية، كما أنه لم يستطع الاستمرار في خداع نفسه، ففي داخله كان يؤمن بأن التدخين أفة مضرّة، وأن اللحوم هي في الحقيقة نتاج العنف والموت والقتل لمخلوقات الخالق.

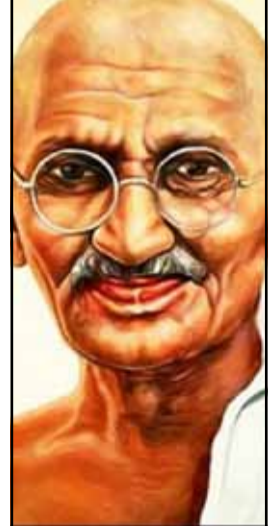
لم يستطع أيضاً الاستمرار في الكذب على والديه وإخفاء هذا الأمر عنهما، ولذلك قرر التوقف عن التدخين وأكل اللحوم وأقسم بالامتناع عن ذلك ما دام والداه على قيد الحياة، وأخذت علاقته بشيخ مهتاب تنتج نحو الفتور والضمور.

أصر موهانداس على الاحتفاظ بتلك العلاقة، ولعل تلك كانت أيضاً من بين المؤشرات المبكرة على استقلالته ومقاومته لكل أشكال التفرقة والتعصب مهما كانت المبررات، إلا أن شيخ مهتاب، كما يستشف من مذكرات غاندي، لم يكن أنموذجاً لشخص يستطيع أن يترك أي أثر إيجابي على من يصادقه ويرافقه، إضافة إلى ذلك، فقد كانت الفترة التي تعرف فيها غاندي على شيخ مهتاب وصداقه ربما كانت بداية الطريق في سعيه نحو اكتشاف الحقيقة وبداية مرحلة الصراع مع الذات والتمرد على التقاليد والموروثات، وهي حالة تولد الاستعداد للاقتراب من المحظورات والمحرّمات.

في مرحلة دراسته المدرسية، وعندما كان في سن السادسة عشرة، ارتبط موهانداس غاندي بصداقة حميمة ووثيقة مع شيخ مهتاب، وهو طالب مسلم يدرس في المدرسة نفسها التي كان غاندي يدرس فيها.

لقد وقفت والدته وزوجته وأخوه الأكبر ضد هذه العلاقة ليس مجرد أن مهتاب كان مسلماً، بل لأنهم كانوا يخشون على ابنهم أيضاً من تأثير ذلك الشخص على سلوكه، فقد كان مهتاب شاباً معروفاً بطيشه وتهوره وتحرره في الكثير من النواحي.

لقد خافوا أن ينحرف ابنهم ويتعلم من مهتاب أكل اللحوم والتدخين وشرب المسكرات ومعاشره المومسات.



”ليس هناك أي أمل في علاج هذا العالم المريض إلا عبر طريق الأتعف وهو طريق مستقيم وظيف“.

غاندي